

إيران والشرق الأوسط الملتهب

مركز الفرات للدراسات

المقدمة

تقع منطقة الشرق الأوسط على صفيحٍ ساخنٍ، فزارها لم تهدأ منذ أمدٍ طويلٍ، وبل استعرت أكثر منذ عام ٢٠٠٣ وما زالت تستمر في حرق الخارطة السياسية للمنطقة.

ما هو بادٍ للعيان أنّ الشرق الأوسط يعيش مخاض ولادةٍ جديدةٍ وعسيرةٍ، ويكمن ذلك في إصرار شعوبها وتطلعها إلى بناء نُظُمٍ جديدةٍ تمثل قيم الحرية والمساواة والعدالة الاجتماعية، في مقابل سلطاتٍ تعمل بكل عنف؛ للإبقاء على أنظمتها البالية، وتسير عكس تيار هذا التغيير.

إنّ هذه المرحلة من تاريخ المنطقة يشبه إلى حدٍ كبيرٍ ما مرت به أوروبا خلال المرحلة الانتقالية من العصور الوسطى إلى عصر التنوير أو العصور الحديثة، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هنا هو: لمن ستميل كفة النجاح والنصر في نهاية المطاف؟

انطلاقاً من القانون الكوني الذي يكون فيه عمر كلِّ شيءٍ محدّداً، فحياة الكائنات تبدأ من الولادة ثم الطفولة فالنضج، تليها الشيخوخة، فالانحدار، وهذه السيرة الحياتية تنسحب على حياة الأنظمة السياسية أيضاً؛ إذ أنّ كلَّ نظام يبدأ من النشوء فالتطور ثمّ الازدهار والتوسع ليعقبها في النهاية الأزمة والانحدار أو السقوط، ولكن ما لا نجد له تفسيراً حيال هذه المسألة هو عدم إدراك هذه الأنظمة وأصحاب القرار في الشرق الأوسط لهذه الحقيقة وتمسكهم بهذا الشكل البالي من السلطة، بدلاً من إفساح المجال أمام رياح التغيير التي تمهّب على هوى الشعوب وتطلعاتها.

هل بدأ سقوط أحجار الدمينو بشكلٍ فعليٍّ في المنطقة؟

مما لا شك فيه أنّ الأنظمة الحاكمة في الشرق الأوسط، ولا سيّما في البقعة الجغرافية التي تسمى بقلب المنطقة (سوريا، العراق، وإيران، وتركيا)، وعلى الرغم من خلافاتها في الكثير من القضايا، لكننا نجدها تتقارب في التصدي للكثير من التحديات التي تواجهها، ولعلّ التحدي الداخلي الأبرز الذي

تواجهه هذه الدول الأربعة مجتمعةً هو وجود قضية كُردية على أراضيها، بل وتشكّل القاسم المشترك بينهم، ولولا وجودها لكان تفكيك هذه المنظومة أكثر سهولة.

إنّ تتبّع الأحداث التي بدأت منذ عام ٢٠٠٣ إلى اليوم؛ يُظهر دور الجمهورية الإسلامية الإيرانية في تقوية الروابط بين الدول آنفة الذكر، ومن الواضح أنّ سقوط أحجار الدومينو على ارتباط وثيق بوضع إيران ومستقبلها.

إيران والتحديات التي تواجهها

تعدّ إيران إحدى الدول المحورية في المنطقة، فلها تاريخ وميراث ثقافي متنوع، لكن بعد قيام الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ بمشاركة غالبية شرائح المجتمع بمختلف توجهاتهم الأيديولوجية ضد الشاه محمد رضا بهلوي، سرعان ما هيمن عليها التيار الديني وأسسوا نظام حكمٍ ثيوقراطي، فتحوّلت إيران إلى دولة قومية شيعية، بعيدة كل البعد عن طموح الشعوب الإيرانية في الحرية والمساواة والعدالة.

آ- مكان القوة لدى النظام في إيران

يمكننا تلخيص مكان القوة لدى النظام الإيراني في عدّة نقاطٍ هي:

- ١- تبني النظام الإيراني لمفهوم "ولاية الفقيه" وفرض نفسه كقائدٍ للشيعية، واستغلال مظلوميتهم، وبناء هلال شيعي في المنطقة، والترويج لنفسه كحامٍ لهم من "الإبادة" التي قد يتعرضون لها.
- ٢- إنشاء فصائل موالية لها في المنطقة تحارب "أعداء" إيران بالنيابة عنها، ودعمهم بالسلاح والأموال، واستخدامهم لإشغال بؤر التوتر خارج حدود إيران حين الحاجة.
- ٣- توطيد علاقاتها مع دول الجوار؛ سوريا، وتركيا، والعراق، وإنشاء تحالفٍ إقليمي معها.
- ٤- سباق التسلح، حيث يمكن اعتبار تطوير إيران منظومتها الصاروخية نقطة قوة لها على المدى القريب.

ب - مكان الضعف لدى إيران

- ١- إنفاق إيران أموالاً طائلة على الفصائل الموالية لها مثل حزب الله، والحوثيين، وحركة حماس، وغيرها من الحركات يؤدي إلى خلق ردود فعل قوية لدى الشعوب الإيرانية التي تعاني من الفقر وانتشار البطالة نتيجة هذه السياسات، فهذه الشعوب كغيرها تسعى، بطبيعة الحال، إلى العيش الكريم على أرضها المليئة بالثروات الطبيعية، ويتجلّى ذلك في الهتافات التي

يطلقها الشعب الإيراني الثائر في مظاهراته عندما يقول: "لا غزوة ولا لبنان روجي فداء لإيران".

٢- العقوبات الأمريكية القسوى التي شلّت الاقتصاد الإيراني، وكذلك حالة الضعف التي تعيشها الدول التي تعتبرها إيران ذات صلة عميقة بها (سوريا، ولبنان، والعراق، واليمن)، وعدم قدرة هذه الدول على التخفيف من وِزر هذه العقوبات المفروضة عليها، كلّ ذلك يضع إيران أمام وضع اقتصادي صعب للغاية.

٣- إنفاق إيران أموالاً طائلة على سباق التسلح، ما أدى إلى إضعافها داخلياً على المدى الطويل، فمهما بلغت قوة الدفاعات الموجهة إلى الخارج، وبقي الداخل يعاني من الإهمال والتهميش، فلن تستطيع هذه القوة الحيلولة دون انهيار السلطة.

٤- عدم القيام بالإصلاحات في الوقت المناسب، وحل القضايا الداخلية؛ وخاصة قضية الإثنيات والقوميات الموجودة ضمن حدودها مثل قضية الأهواز، والكرد، والبلوش، وغيرهم من الشعوب.

٥- طموح إيران في أن تصبح قوة إقليمية قوية منافسة للقوى الكبرى، وذلك على حساب العديد من دول المنطقة والعالم، أدى إلى تشكل جبهة واسعة معادية لها في العالم والمنطقة.

هل بدأت ساعة الصفر لإيران؟

إنّ أهداف إيران التوسعية تحت مسمى الهلال الشيعي، خلق لها الكثير من الأعداء في المنطقة، حيث تُعدّ هذه الأهداف تهديداً واضحاً لأمن الدولة الإسرائيلية، وأمن دول الخليج العربي عامة، والسعودية بشكل خاص؛ إضافة إلى أمن مصر، كما أنّها تشكّل تهديداً واضحاً لمصالح القوى المهيمنة عالمياً وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا، وبالتالي وضعت إيران نفسها أمام جبهة معادية واسعة النطاق على مستوى المنطقة والعالم، فالضغوطات أصبحت أكثر صرامة بعد أن انسحبت أمريكا من الاتفاق النووي مع إيران، وكان ذلك بمثابة إعلان حرب غير مباشرٍ عليها.

تداعيات الضغوط الخارجية وخيارات إيران في هذا الوضع

بدأت الضغوطات على إيران مع انسحاب أمريكا من الاتفاق النووي وفرض عقوبات اقتصادية صارمة عليها، مما وضعها - داخلياً - في وضع اقتصاديٍّ مُررٍ، ومن شأن ذلك أن يخلق جبهة داخلية قوية للشعب الذي يكافح لأجل الوصول إلى لقمة العيش، وأدى إلى تشكّل معارضة - غير منظمة

بشكل كافٍ- لسياسات إيران الداخلية والخارجية، نتيجة الظلم الذي يمارسه النظام الإيراني على كافة شرائح المجتمع. كما أنّ أكثر المتضررين من هذا النظام هي المرأة الإيرانية والشباب الإيراني المتطلّع إلى حياة منفتحة على العالم الخارجي، وكلّ هذه الضغوطات الداخلية مجتمعةً بالإضافة إلى الضغوطات الخارجية تدفع بإيران إلى أن تختار بين أمرين اثنين أحدهما مُرّ، وهما:

١- الانسحاب من المنطقة والتخلّي عن طموحاتها التوسعية، وعن الإصرار على بناء الهلال الشيعي، وعدم تقديم الدعم للقوات الموالية لها في الخارج؛ وهو الأمر الذي لم تستجب له إيران حتى الآن، على الرغم من شدّة الضغوطات المفروضة عليها، ما أدى إلى اندلاع المظاهرات في مناطق نفوذها في كلّ من لبنان والعراق، والتي لها مطالب واقعية ومحقة، بطبيعة الحال؛ لأنّ شعوب هذه البلدان لم تعد تستطيع العيش في ظل أنظمة مرتبطة بشكل وثيق مع نظام إيران ووكلائه، فمطالب الشعوب في كل من لبنان والعراق واضحة من حيث مناداتها بالقضاء على طائفية السلطة التي تعمل على حماية مصالح إيران، هذه المصالح التي لم تكن يوماً تعني شيئاً لشعبي البلدين، وبإمكاننا اعتبار هذه المظاهرات بداية حربٍ على إيران وفتح جبهاتٍ كفيّلة باستنزافها كما حصل في اليمن، ولكن ما هو بادٍ للعيان هو عدم رضوخ إيران لمطالب المتظاهرين، ومن المحتمل أن تدفع إيران بالأمر في لبنان والعراق نحو حربٍ أهلية.

امتدت هذه المظاهرات مؤخراً إلى الداخل الإيراني، ولكنّ القمع والعنف المفرطين اللذين يواجه بهما النظام المتظاهرين من شأنهما أن يؤديا إلى السيطرة على المظاهرات؛ فالمعطيات تؤكد صعوبة تغيير النظام عن طريق المظاهرات السلمية والعقوبات الاقتصادية، كما أنّ شرّ ضربات تأديبية ضدّ أهداف إيرانية في سوريا، دون وجود تدخّل خارجي قوي لن يحقق هذا التغيير، وفي الجمل يمكننا القول إنّ الوضع الحالي في إيران يشبه إلى حدّ كبير وضع العراق في أواخر حكم الرئيس العراقي السابق صدام حسين.

إنّ مجمل ما سبق يدفعنا إلى طرح السؤال الآتي:

ما هو الاحتمال الآخر الذي من الممكن أن تواجهه إيران في حال لم تُجِد كلّ هذه الضغوط نفعاً، والتي تسعى للحدّ من توسّعها وتقليص نفوذها إلى داخل حدودها المرسومة وفق القانون الدولي؟

إنّ الضغوطات المفروضة على إيران، كانت تهدف إلى تجنب ويلات الحرب من قِبَل الأطراف المعنيّة بموضوع إيران، لكن إذعان إيران لهذه الضغوطات هو بمثابة "سمّ مضاعف" لها على

حدّ وصف مرشدها الأعلى علي خامنئي، لأنّ ذلك سوف يقوّض ويحجّم دورها كقوة إقليمية مؤثرة، بشكلٍ كبير، وبالتالي سينجم عن هذا الأمر "تبعات كارثية"، ومن المرجّح أن تؤدي إلى تفاقم مشاكلها الداخلية أكثر من أيّ وقتٍ مضى، بل ومن المحتمل أن تمهّد الطريق أمام تقسيمها، وهذا ما تتخوف منه إيران، ولن تقبل به.

٢- إنّ كافة المعطيات والتطورات تشير إلى أنّ المنطقة على شفير حرب ضارية، فأطراف الصراع سوف تتجاوز حروب الوكالة، وسيبدأ صراع القوى الكبيرة في المنطقة وجهاً لوجه. يبدو جلياً أنّ الدول المتضررة والمتخوّفة من التوسع الإيراني قد دخلت في تحالفٍ ضدّ هذا التوسع (مصر، والأردن، ودول الخليج «عدا قطر»)، والكويت التي سوف تلزم الحياد في هذه الحرب، إضافةً إلى إسرائيل وأمريكا وبريطانيا)، ومن الواضح أنّ هناك ضغطاً أمريكياً على دول الاتحاد الأوروبي للانضمام إلى هذا التحالف، أما الطرف الآخر المواجه لهذا الحلف فهو إيران والقوى الموالية لها،

كما أنّه من الوارد أن تصطفّ قطر إلى جانب إيران، لكن من دون أن تخوض الحرب بشكلٍ مباشرٍ إلى جانبها. وتركيا أيضاً ستبادر إلى تقديم الدعم المادي والإعلامي لإيران دون مشاركة فعلية مباشرة في هذه الحرب. كذلك ستقف سوريا، التي استنزفتها الحرب الداخلية منذ ما يقارب التسع سنوات، إلى جانب حليفها.

أما روسيا، فبحسب المعطيات والمواقف التي تبديها حيال أزمات وقضايا المنطقة وطرق تعاملها معها فهي لا تنوي استنزاف قدراتها في هذه الحرب، ومن المرجّح أنها سوف تحاول منع وقوع مثل هذه الحرب من خلال العمل الدبلوماسي، لكنّها لن تتدخّل بشكلٍ فعليّ، على غرار ما فعلته الولايات المتحدة خلال الحربين العالميتين.

إنّ الجبهة المعادية لإيران تتفوق عليها في كافة المجالات، كالتقنية العسكرية، واقتصاد الحرب، وحتى في دبلوماسية الحرب، أما قوة إيران فتكمن في توسيع ميدان المعركة لتشمل جميع المنطقة تقريباً، بدءاً من أفغانستان إلى العراق، وسوريا، وإسرائيل واليمن، لكن بكلّ الأحوال وكما هو بادٍ للعيان فإنّ نتائج هذه الحرب ستكون كارثية بالنسبة لجميع أطراف النزاع ولو بدرجاتٍ متفاوتة في حال وقوعها.

الأوضاع المحتملة التي ستواجه حلفاء إيران

١- لبنان

يعيش لبنان في هذه الفترة من تاريخه انتفاضةً سلمية، والهدف المعلَن من خلال شعارات هذه الانتفاضة يتمثل في الهتاف الذي يُطلقه المتظاهرون (كلن يعني كلن، نصرالله واحد منون)، وهو يعبر عن رفض الدور الإيراني في إدارة شؤون لبنان الداخلية، لكن يبقى السؤال: هل بإمكان هذه الانتفاضة والمظاهرات السلمية أن تقطع أحد أذرع الهلال الشيعي من لبنان وتعيد السيادة إلى اللبنانيين؟

إنّ المظاهرات اللبنانية التي بدأت في ١٧ تشرين الأول/ أكتوبر وماتزال مستمرة بنفس الوتيرة، لم تغير الكثير في المشهد السياسي اللبناني؛ فاستقالة رئيس الوزراء سعد الحريري لم تعن الكثير للمتظاهرين، ومن المحتمل أنه عندما ترى إيران والقوات المدعومة منها بأنّ المظاهرات تضيق الخناق عليهم، خاصة أنّ هذه المظاهرات تحظى بتأييدٍ إقليميّ ودولي، فإنّ الاحتمال الأكثر وروداً هو اللجوء إلى العنف وإشعال حرب أهلية جديدة؛ إذ أنّ بوادر هذه الحرب ظهرت مع اقتحام حزب الله وحركة أمل لحيم المعتصمين واستعمال العنف ضدهم، وبذلك سوف تدخل لبنان مرحلة جديدة من الصراع، وستكون جبهة حرب مهمة بالنسبة إلى إيران، بحكم قربها من "العدو اللدود" لها.

٢- العراق

إنّ التدخّل الأمريكي العسكري في الحرب ضد حكومة البعث في العراق والقضاء على نظام صدام حسين عام ٢٠٠٣، لم يقضِ على النظام فحسب، بل انهارت معه الدولة بشكلٍ كامل، وعاش العراق، وما زال يعيش، حالة من الفوضى إلى الآن، حيث لم تستطع أمريكا أن تبني حكومة مقرّبة منها، وتجعل من العراق دولة "نموذجية" في المنطقة، على الرغم من تحضيراتها لذلك.

الشريحتان الأكثر تنظيمًا، نتيجة الظلم الذي كان يمارسه نظام صدام حسين عليهما، هما الكُرد، الذين تمسكوا بالفيدرالية واعترف بها رسمياً الدستور العراقي الجديد عام ٢٠٠٥، أما الشريحة الثانية فهي الشيعة، حيث استفادوا من انهيار نظام البعث الرافض للتنوع الثقافي والإثني، ونظموا أنفسهم في أحزابٍ بأسماءٍ عدة بعد أن كان ذلك محظوراً عليهم، وبحكم روابطهم العقائدية والأيدولوجية مع إيران،

استطاعت الأخيرة أن تستفيد من الوضع الجديد القائم، وتتدخل بشكلٍ سافرٍ في الشؤون الداخلية للعراق، بالتالي مسكت زمام الحكم بيدها، حتى جعلت من دولة العراق كمحافظة إيرانية.

كيف يمكننا قراءة المظاهرات التي تعم العراق حالياً؟

ما هو لافتٌ في هذه المظاهرات هو خروجها من بغداد العاصمة والمحافظات الجنوبية ذات الغالبية الشيعية، والشيعية في العراق ينقسمون إلى شريحتين، الشريحة المستفيدة والمدعومة من إيران، ويطلق عليهم "الأسياء" وهي تعد الطبقة العليا من الشيعية، والشريحة الأخرى هي الطبقة المعدومة أو المسحوقة التي كانت تكافح على مرّ العصور وتملك روح المقاومة، وهي طبقة معارضة دائماً للسلطة، حيث كانت هذه الشريحة تعاني من الاضطهاد على يد النظام البعثي، وعاشوا، مثل الكُرد، الكثير من الويلات في زمن النظام السابق، ولديهم حس الانتماء إلى العراق كوطن، فالمظاهرات التي تشهدها هذه المحافظات تشارك فيها هذه الشريحة التي رفضت عن نفسها الخوف الذي تركه نظام صدام حسين، وهذا الجيل المشارك بفعالية قوية في هذه المظاهرات هو الجيل الذي لم يعيش ظلم النظام السابق بشكل مباشر، وكبر ولم يعرف الرعب الذي تركه نظام البعث. إلى جانب هذه الشريحة، تشارك في هذه المظاهرات الطبقات المسحوقة من أهالي بغداد وما حولها، والذين لا يقبلون بتبعية العراق لإيران، ويرفضون تحويل بلدهم إلى ولايةٍ إيرانية.

ويبقى السؤال هنا، هل بإمكان هذه المظاهرات السلمية التي تواجه بالرصاص أن تثمر وتؤدي إلى بناء العراق كدولة مستقلة ذات سيادة واعتبار في المنطقة؟

إنّ العراق، باعتباره حلقة مهمّة ومصيرية، مثل سوريا، في سلسلة الهلال الشيعي الإيراني، لن يتمكن من الفكك بسهولة من النظام الإيراني، ليحدّد مصيره بنفسه، وعليه فإنّه من المرجح أن تتجّه الأمور فيه نحو التصعيد، فلا الشعب العراقي سوف يترك الساحات ويتنازل عن حقوقه المشروعة، ولا إيران سوف تترك الشعب العراقي يحيا كما يشاء، وذلك من خلال اللجوء إلى الفصائل الموالية لها، وأغلب الظنّ سوف تشهد هذه الساحة أيضاً حرباً أهلية تكون إحدى أطرافها إيران والقوات الموالية لها من الحشد الشعبي وفصائل أخرى، والطرف الآخر هو الشباب العراقي المقاوم، والذي سوف يلقي دعماً ومساندةً من الخارج أيضاً.

٣- سوريا

منذ ما يقارب التسعة أعوام تعيش سوريا في أتون حربٍ أتهكت الشعب والنظام على حد سواء؛ لكن لماذا لم يسقط النظام السوري رغم كلِّ الضغوطات والتحديات التي عانى منها على مرّ هذه السنين، وعلى الرغم من تغلغل الفساد في مفاصله، فضلاً عن أنّ ردود الفعل القوية جداً على الصعيد الداخلي، فمن يقف وراء منع تماهي النظام وسقوطه؟

يعتقد الكثيرون بأنّ دخول روسيا حلبة الصراع ومساندة النظام من الناحية العسكرية هو السبب وراء إطالة عمر هذا النظام، ولكن في حقيقة الأمر، فإنّ السبب هو وقوف النظام الإيراني الذي تربطه روابط أكثر قوة مع النظام السوري، حيث اعتبرت إيران الساحة السورية جبهةً خلفية لحماية مصالحها ونظامها الطائفي، فتدخلت في إدارة الأزمة من خلال بسط نفوذها على جميع مفاصل الحكم، وقد أظهرت هذه الحرب، بشكل جليّ، الوجه الطائفي للنظام في سوريا أيضاً، فالمشاركون الفعليّون في هذه الحرب والذين قتلوا دفاعاً عنه، لم يكونوا وحدات "الجيش العربي السوري"، وإنما هم جماعات مرتبطة بإيران وحزب الله والطائفة العلوية التي ربطت مصيرها بمصير النظام.

مضت أكثر من ثمانية أعوام وما يزال الغموض يلفّ الحالة السورية، وما من حلول تلوح في الأفق. في حين أن بعض الأطراف تسعى إلى الضغط على النظام للوصول إلى صيغة مبادرة للوصول إلى حل يرضي الكثير من الأطراف، فغياب الحلّ يضرّ بمصالح بعض القوى الفاعلة في سوريا، ومن هذه الاطراف:

أ- النظام السوري

إنّ هذا النظام وعلى الرغم من الويلات التي عاشها إلا أنّه لا يرى أيّة حاجة حتى لمصطلح الحلّ بحدّ ذاته، فهو مقتنعٌ بأنّ الأسباب التي أدت إلى هذا الوضع هي كلها أسبابٌ خارجية وليس لها علاقة بممارسات الدولة البعيدة عن قيم الديمقراطية، وبالتالي فإنّه ما يزال يؤمن بالحلّ العسكري الذي من شأنه القضاء على كل من يخالف الدولة ويعارض نظامها، والعودة "الآمنة" إلى ما قبل عام ٢٠١١ وكأنّ شيئاً لم يكن.

ب - إيران

تتمنى إيران استقرار الأوضاع في سوريا بهذا الشكل؛ فبقاء الوضع على ما هو عليه في سوريا يصبّ في مصلحة إيران بالدرجة الأولى، فقد استفادت إيران من ظروف الحرب، وهي تتهيأ لأخذ أكبر حصة من الاستثمارات وإعادة الإعمار، وأيّ حلّ خلافاً لذلك لن يكون في صالحها، وبالتالي يمكننا الاستنتاج أنّ القوة الخفية التي تعيق جميع الحلول في الوقت الحالي هو نفوذ إيران القوي داخل النظام.

ج - روسيا

من الواضح أنّ روسيا الاتحادية تحاول الوصول إلى صيغة ما من خلال طرحها لبعض الحلول، وذلك من خلال دعمها في كتابة دستور جديد للبلاد، فهي تدرك جيداً أنّ الوضع الراهن للدولة لا يمكن أن يبقى على ما هو عليه، ولذلك تحاول طرح نوع من الحلول، ولكن ما هو لافتٌ هو أنّ روسيا لا تملك النفوذ الكافي لفرض حلها على النظام، فهي تصطدم بالقوة النافذة لإيران، لذلك فإنّ توقع فرض روسيا الحل الذي تراه مناسباً وتخطط له هو أمرٌ مستبعدٌ في الوقت الحالي.

هناك أطرافٌ أخرى لها دورٌ في الوضع السوري، ومنها:

١ - الولايات المتحدة الأمريكية والتحالف الدولي

شاركت أمريكا بشكل فعّال في محاربة تنظيم داعش في المنطقة، وسوف تكون لها الكلمة الفصل في الحلول المرتقبة في سوريا أيضاً، لأنّ عدم وضع قوة أمريكا في الحسبان والتفكير في الحل النهائي في سوريا بدونها هو أمرٌ مستبعد، فالكثير من المراقبين والمحللين السياسيين يرون أنّ سياسة أمريكا في سوريا هي سياسة غامضة، لكن تصريح جيمس جيفري المبعوث الأمريكي الخاص إلى سوريا في أواخر العام ٢٠١٩ وضّح سياسة الولايات المتحدة تجاه سوريا والحلول التي تخطط لها، فالولايات المتحدة لم تقرّر إلى الآن بقاء هذه الدولة بنظامها الحالي مستقبلاً، لذلك لم تول إلى اليوم، أيّ اهتمامٍ للحلول السياسية التي تناقش أوضاع سوريا، ولا تهتم بشكل جدي بموضوع كتابة الدستور، وضغطت على جامعة الدول العربية لتأجيل إعادة العضوية المعلقة لسوريا إليها. إنّ الولايات المتحدة تشجع الإدارة الذاتية، والكرّد بشكل خاص، على الحوار مع النظام، ولكنها تعيق في الوقت ذاته التوصل إلى حلّ نهائي من شأنه أن يبقى على هذا النظام ويساهم في تقويته. كما أنّ بقاءه يعني "بقاء وتقوية النظام الإيراني" أيضاً، وهذا ما لا ترغب به أمريكا والقوى المهيمنة عالمياً. وهنا يتبادر إلى ذهننا السؤال الأهمّ وهو:

متى سوف تشارك القوى العالمية ومن ضمنها أمريكا في فرض ثقلها للوصول إلى حل نهائي في

سوريا؟

إنّ الشرط الوحيد والمهم للوصول إلى حلّ بالنسبة لهذه القوى هو خروج سوريا من تحت الوصاية الإيرانية، واستبعاد إيران والقوات المدعومة منها من سوريا، وهذا الشرط تطالب به بعض الدول العربية أيضاً، فالفيتو السعودي ضدّ عودة سوريا إلى الجامعة العربية، على سبيل المثال، مقترنٌ بهذا الشرط أيضاً، والذي يصعب على الحكومة الحالية تنفيذه، لأنّ من يقرّر عن النظام في سوريا هو النظام الإيراني، فهل نتوقع أن يتخذ هذا الأخير قراراً ضدّ وجوده في سوريا! يبدو هذا الأمر مستحيلًا في الوقت الراهن.

٢- الكُرد والحلّ المتمثّل في الإدارات الذاتية

استفادت شعوب المنطقة في شمال وشرق سوريا بزيادة الشعب الكردي من الأوضاع التي آل إليها النظام السوري، فبعد محاربتهم لأعتى تنظيم إرهابي من جهة، وبناء نظام ديمقراطي مختلف عن الأنظمة التقليدية ضيقة الأفق من جهة أخرى، تمكنوا من إثبات وجودهم وكفاءتهم كقوة بديلة عن النظم التقليدية في المنطقة، وأعلنوا من جانبهم، دون أي اعتراف دولي وإقليمي، عن شكل إدارة بديلة عن إدارة وسلطة الدولة، فبعد القضاء على آخر معاقل تنظيم داعش الإرهابي كانت شعوب المنطقة تنتظر أن يعترف العالم بنظامهم، عرفاناً منهم بالجميل، وهم الذين حاربوا نيابةً عن العالم أجمع، ولكن واقع كردستان المجزأة بين أربع دول في المنطقة يعيق ظهور حلّ هذه القضية في هذا الجزء أيضاً؛ فالإدارة الذاتية تحاول جاهدة أن تحلّ مشاكلها ضمن حدود الدولة المعنية بها، أي الدولة السورية، لكي تترسخ ككيان شبه مستقل يتمّ قبوله في الدستور السوري الجديد، ولكنها تجد الكثير من العقبات، وتكمن إحدى أهم هذه العقبات في النظام السوري الراض لأيّ تغيير ديمقراطي من جهة، ومن جهة أخرى وجود سوريا ضمن تحالف إقليمي يضمّ كلّ من (سوريا، وإيران، وتركيا) وهو تحالف تشكّل في جوهره على أساس إنكار القضية الكردية التي تعد من أهم قضايا المنطقة، واستقرار المنطقة منوطٌ بما إلى حدّ كبير.

لا يفوتنا أن نذكر أيضاً أنّ القوى المهيمنة عالمياً، وعلى رأسها الولايات المتحدة أيضاً، لا تنوي حلّ هذه القضية في الوقت الراهن، وعليه لا يمكننا توقع الوصول إلى حلّ ضمن حدود هذه الدولة ضمن هذه الظروف، ومن المهمّ في هذه المرحلة أن يتمّ الحفاظ على مكتسبات الإدارة الذاتية مهما بلغ

الثلث، لأنّ الحلول في منطقة الشرق الأوسط، على ما يبدو، ستأتي دفعةً واحدة، وسيتم إعادة رسم خريطة المنطقة.

النتيجة

لا يمكننا توقع حدوث استقرار في المنطقة على المدى المنظور، فالتوصّل إلى الحلول النهائية في المنطقة هو أمرٌ في غاية التعقيد، والعمل على إيجاد حلّ في دولة بمعزل عن الدول الأخرى في المنطقة هو أمرٌ صعبٌ للغاية في الوقت الراهن، نظراً لترابط مشاكل المنطقة ببعضها، وكذلك الأمر بالنسبة للحلول. إنّ استمرار هذه الدول الإقليمية في المحافظة على وجودها على الرغم من الصعوبات التي واجهتها خلال السنوات العشر الأخيرة، وبقاء أحجار الدومينو ثابتةً ومتراصةً، يعود إلى عدم تعرّض إيران للأحداث التي تجري في هذه الدول داخل حدودها بشكل فعلي ومباشر، وما قامت به إيران هو إبقاء على وجودها قوياً في دول الجوار.